مفهوم السببية عند هيوم

م. م. احمد ناظم داود
كلية التمريض - جامعة كركوك

بسم الله الرحمن الرحيم

الخلاصة

مبدأ السببية مبدأ مهم في الحياة و في العلم و الفلسفة لذا اهتم الفلاسفة و العلماء بتحليله. ويعتبر (هيوم) من اهم الفلاسفة الذين قاموا بدراسة هذا المفهوم.

ويرى (هيوم) انه لابد من ان يتوفر بعض العلاقات بين الاشياء حتى يكون بالامكان تسميتها بعلاقة السبب و النتيجة فمثلا العلاقة بين (أ و ب) حتى تكون العلاقة سبب ونتيجة يجب توفر ثلاثة شروط هي:-

علاقة التجاور وعلاقة الاسبقية الزمنية للسبب على النتيجة و الارتباط الضروري بين السبب و النتيجة. وحسب وجهة نظر (هيوم) فأن العلاقة الاخيرة اهم هذه العلاقات وتعني هذه العلاقة وجوب تلازم السبب مع النتيجة (فالنار تحرق) فالعلاقة بين السبب و النتيجة ضرورية لايمكن تصور احداهما من دون الاخر.

ولكن (هيوم) رفض هذا التصور واكد بأن التجربة لاتزودنا بالضرورة الموجودة في علاقة السببية. فما مصدر الضرورة اذن توصل هيوم بعد تحليل عميق بأن فكرة الارتباط الضروري بين السبب و النتيجة لم نصل اليها عن طريق التجربة بل عن طريق العادة و التكرار.

المقدمة :

يعتبر ديفد هيوم من اهم الفلاسفة الانجليز، تابع كل من جون لوك و جورج باركلي في رد التجربة البشرية الى التجربة وذهب ابعد من لوك باركلي في تطبيق المذهب التجريبي على المفاهيم و التصورات الفلسفية، ولقد كان تأثير هيوم على الفلاسفة اللاحقين له كبيراً، حتى ان الفيلسوف الماني (كانط) – الذي يعتبر من اهم الفلاسفة في كل العصور – اعترف صراحة في كتابه (مقدمة لكل ميتافيزيقية مقبلة) ان هيوم ايقضه من سباته العقائدي، اي انه كان يسلم بصحة افكار و مبادئ دون نقد عقلي.

واهم جزء في فلسفة هيوم هو بالتأكيد تحليله الدقيق و العميق لمفهوم السببية، فقد بين بأن مفهوم السببية ليس قضية تحليلية يمكن من خلال العقل وحده استنتاج النتيجة من السبب كالقضايا الرياضيات. وانما مبدأ السببية قضية تركيبية.

ولكن التجربة لاتعطينا فكرة الضرورة التي هي بالتأكيد اهم شرط لمفهوم السببية حسب التفسير الشائع لدى كثير من الفلاسفة. و انما الضرورة مصدرها التكرار المستمر بين السبب و النتيجة.

واخيراً هناك ملاحظة مهمة وهي اني استخدم السبب و العلة بمعنى واحد في هذا البحث.

مفهوم السببية

تعتبر السببية من اهم المصطلحات المستخدمة في الفلسفة والعلم على حد سواء ومن المفاهيم المعقدة والغامضة، حيث اختلف الفلاسفة في تحديد معناها بدقة بل إننا نجد ان لكل فيلسوف تعريفه الخاص لمبدأ السببية يوافق فلسفته [١].

وفي لغة الحياة اليومية لا يثير مفهوم السببية أي اشكال، فكل انسان يعلم معنى ان الحدث (**A**) هو السبب في الحدث (**B**)، او ان (**B**) هو نتيجة (**A**). وعندما يضرب ملاكم منافسه في انفه (فاللكمة هي السبب في كسر الانف، والكسر هو من نتيجة اللكمة) وكل انسان يفهم بالضبط هذه العبارة (تقلص الزئبق في الثرمومثر سببه انخفاض درجة الحرارة) [٢].

والمعنى الاشتقاقي (للسبب) في اللغة العربية هو (الحبل وما يتوصل به الى المقصود، والجمع اسباب، واسباب السماء مراقبها او نواصبها او ابوابها) [٣].

اما المعنى الاشتقاقي لهذا المصطلح في اللغات الغربية (اليونانية واللاتينية):-

في اللغة اليونانية يدل على الاتهام، وارتكاب الاثم او الجريمة، اما في اللغة اللاتينية فيدل على السبب او ما يحدث شيئا او يدل على المحاكمة والدفاع في القضاء [٤].

ويذهب د. عبدالرحمن بدوي الى ان مصدر فكرة السببية هي:-

اولا: السببية: هي الفاعل والاحداث التي تحدث تنسب اليها، مثلما افعال الانسان تنسب اليه.

ثانيا: السببية: هي الفعل المادي أي الذي يحدث اثرا في الاشياء فالنار تحرق، والسهم يقتل حين يصيب مقاتلا.

ثالثا: السببية: هي المولد او تنتج اشياء اخرى لم تكن موجودة، فالمولد يستعمل هنا بالمعنى البيولوجي مثل: الذكر والانثى يولدان حيوانا اخر [٥].

ويذهب الفيلسوف اليوناني (ارسطو *) الى ان السببية اربعة انواع هي:-

١. السبب المادي: هي المادة التي يتكون منها الشيء، كالبرونز للتمثال، والخشب للشباك، الخشب العلة (السبب) المادي للسرير.

٢. السبب الفاعل: وهو القوة التي عملت على تغيير الشيء، فالفنان هو السبب الفاعل للتمثال أي صانع التمثال.

٣. السبب الصوري: الشكل الذي يتخذه التمثال هو السبب الصوري للتمثال.

٤. السبب الغائي: أي الغاية المقصودة من صنع الشيء مثلا السبب الغائي للسرير هو الراحة او النوم[٦].

اما في العصور الوسطى عرف الفلاسفة او ما يسمى الفلسفة المدرسية * السبب ((هي العلة التي تولد شيئا اخر بنشاط حقيقي يصدر منها))[٧].

والفيلسوف (توماس هوبر) فانه يعرف السبب ((السبب هو خلاصة **Sum** او اجمالي **Aggregate** كل الحوادث التي تساعد كل منها في انتاج السبب المطروح))[٨].

اما جون لوك: فانه يسمي الذي ينتج الفكرة البسيطة او المركبة بالاسم العام (السبب) والذي يكون نتيجة لها بالاسم (مسبب)[٩].

واعتبر (امانوئيل كانط *) السببية مقولة عقلية لا يستمدها العقل من التجربة بل هو الذي يفرضها على التجربة. (فالاشياء في ذاتها) لا تخضع لهذا المبدأ [١٠].

اما الامام الغزالي * فيذهب الى ان التلازم بين الاسباب والمسببات ليس ضروريا وحتميا: ((الاقتران بين ما يعتقد في العادة سببا، وما يعتقد مسببا ليس ضروريا عندنا بل كل شيء ليس هذا وذاك ولا ذاك هذا، ان اثبات احدهما لا يتضمن الى الاطلاق اثبات الاخر، ولا نفي احدهما يتضمن على الاطلاق نفي الآخر، وليس من الضروري وجود احدهما وجود الاخر ولا من الضروري عدم وجود احدهما عدم وجود الاخر))[١١].

وهذا الراي يشبه – كما سنرى لاحقا – رأي ديفيد هيوم

ومبدأ السببية – بصورة عامة – المسلمة الاساسية التي نذهب ان كل شيء في الكون يحدث وفقا لعلاقة السبب والنتيجة ولا يمكن لشيء ان يحدث بدون سبب [١٢].

فلسفة هيوم

لا يمكن ان نفهم نظرية (هيوم) في السببية، ما لم نفهم فلسفته في تكوين الافكار وانواع الافكار، وتحليله لمفهوم (السببية) يعتمد على نظريته في المعرفة.

يعتبر (هيوم) من الفلاسفة التجريبيين، حيث رد المعرفة البشرية كلها الى التجربة مثل: جون لوك وجورج باركلي، ويتشدد في هذا المجال اكثر من الفلاسفة التجريبيين السابقين له [١٣]. وهدفه الرئيسي في فلسفته تطبيق المنهج العلمي في الفلسفة لتحقيق تقدم شبيه بالتقدم الذي حصل في العلم الطبيعي [١٤].

وذهب (هيوم) الى ان المعرفة تنقسم الى نوعين من الادراكات الحسية:-

١. الانطباعات **Impressions**: هي الادراكات التي تحصل عليها عليها عن طريق الحواس حين نسمع او نرى او نحس، وتكون اشد قوة وحيوية من الافكار وتشمل الاحساسات **Sensations** والعواطف **Passions** والانفعالات **Emotions** بعبارة اخرى اننا حين نسمع ونرى ونلمس نحصل على الانطباعات لذا تكون حيوية وحاضرة في الذهن [١٥].

٢. اما الافكار **Idea**: فهي صور باهتة عن الانطباعات او نسخ عنها فبعد حصولنا على الانطباعات عن طريق الحواس الخمسة يقوم العقل باستعادة تلك المحسوسات ويسمى (هيوم) صور المحسوسات بالافكار وتكون اقل قوة وحيوية من الانطباعات [١٦].

وذهب (هيوم) الى ان جميع الافكار ترجع في النهاية الى الانطباعات وتنقسم الانطباعات الى نوعين:-

١. انطباعات الاحساس: وتكون اسبابها مجهولة في العقل.

٢. انطباعات التامل: ومصدرها (الافكار) فنحن عندما نحصل على انطباع [١٧]عن شيء ما مثلا اللذة والالم فاننا نكون فكرة عنها.

وتنقسم الانطباعات الى نوعين:

- ادراكات بسيطة: عند تحليلها لا ترتد الى ما هو ابسط منها.
- ادراكات مركبة: عند تحليلها ترتد الى ما هو ابسط منها. أي تنقسم الى اجراء ابسط منها [١٨].

وتنقسم الافكار من حيث انطباقها على الواقع الى نوعين:-

- افكار الذاكرة **Idea of Imagination**: تكون مطابقة للواقع.
- افكار الخيال **Idea of the Memory**: لا تكون مطابقة للواقع، اذا يربط الخيال بين الافكار بحرية وكيفما يشاء [١٩].

بعبارة اخرى توجد ملكتان عقليتان لمعالجة الافكار الاول الذاكرة والثاني الخيال. والعقل البشري يربط بين الافكار ويكون افكار مركبة غير مطابقة للواقع الا ان العقل –كما يذهب هيوم – يفعل ذلك وفق مبادئ خاصة يربط الافكار ببعضهما البعض، وهذا المبادئ هي:–

- التشابه: **Ressemblance**.
- التقارن **Contiguity**.
- السبب والنتيجة **Cause and Effect**.

أي ان الفكار تترابط في العقل اذا كانت متشابهة او مقترنة في الزمان والمكان او اذا كانت سببا او نتيجة لها [٢٠].

السببية عند هيوم

عنى (هيوم) عناية فائقة بدراسة علاقة السببية لاهميتها الكبيرة في الحياة، لان علاقة السببية هي العلاقة الوحيدة التي تسمح لنا الانتقال من فكرة لنا علم بها الى فكرة ليس لدينا علم بها، ويعتبر تفسير هيوم لهذه العلاقة اهم انجاز قام به في مجال الفلسفة [٢١].

يميز (هيوم) بين نوعين من الدراسات

١. البحث في العلاقات الضرورية بين الافكار: وهو البحث الذي يبحث في ربط العلاقات الضرورية بين الافكار ولا تحتاج في معرفة صدقها الرجوع الى الطبيعة مثل: قضايا الهندسة والحساب، فالقضية (٥) مضروبا في (٦) تساوي العدد (٣٠) تعتبر هذه القضية ضرورية وتعبر عن علاقة ضرورية بين عددين، ولا تحتاج الى الرجوع الى التجربة لنتاكد من صحتها وانما عن طريق العقل وحده وهندسة اقليدس من هذا النوع من الدراسات لذا احتفظت بيقينها على مر العصور [٢٢]، ويسمى هذا النوع من القضايا في العصر الحديث بالقضايا التحليلية التي يمكن التاكد من صدقها بالحدس والبرهان لانه واضحة بذاتها ولا تتطلب الرجوع الى الطبيعة ونقيضها يؤدي الى تناقض واضح [٢٣].

٢. البحث في امور الواقع (العلوم الطبيعة): تختلف هذا النوع من الدراسات عن النوع الاول بان قضاياها واضحة بذاتها ولا يمكن اثباتها عن طريق الفكر وحده، ونقيضها غير مستحيل ولا يؤدي الى تناقض. أي لا نقع في تناقض عند انكارها والتسليم بصدق نقيضها. ويسمى هذا النوع من القضايا في العصر الحديث بالقضايا التركيبية، مثل قضية (ستشرق الشمس غدا) تعبر عن قضية لا يمكن انكارها بدون ان يؤدي ذلك الى تناقض [٢٤]، أي يمكن ان تسلم بصدق نقيضها (الشمس لن تشرق غدا) دون ان ينطوي ذلك على تناقض [٢٥].

ويذهب (هيوم) الى ان مبدأ السببية – الذي تعتمد عليه العلوم كلها قضية تركيبية – وكما شرحنا سابقا – ان هذا النوع من القضايا لا يمكن البرهنة عليها من خلال الحدس والبرهان وليست قضايا واضحة بذاتها (بينة بذاتها) ويمكن افتراض نقيضها دون الوقوع في تناقض [٢٦].

ويرفض (هيوم) الاراء الشائعة في عصره والتي تعتبر القضية التالية (ان كل ما له بداية في الوجود ينبغي ان تكون له سبب) قضية بديهية (تحليلية) أي بينة بذاتها ولا تحتاج للبرهنة عليها الرجوع الى التجربة. وبعبارة اوضح: ان القضية القائلة (ان لكل شيء سببا قضية تركيبية ليست بينة بذاتها وبالامكان افتراض نقيضها دون ان ينطوي ذلك على تناقض [٢٧].

ويسوق (هيوم) حجة اللاثبات ان السببية ليست قضية تحليلية كالاتي:

ان افترضنا ان مبدأ السببية قضية تحليلية تصبح عملية الفصل بين السبب عن النتيجة غير ممكنة وبما ان الفصل بينهما ممكن، فان ذلك يعني ان فكرة السبب مختلفة ومتمايزة عن فكرة النتيجة وان الفصل بينهما لا يؤدي الى تناقض [٢٨]. أي يمكن تصور بداية لشيء دون رده الى سبب ويستحيل استنتاج فكرة النتيجة من فكرة السبب ((ان ادم قبل الخطيئة مهما افترضنا لعقله من كمال، ما كان يستطيع ابداً ان يستنتج مبدئيا من ليونة الماء وشفافيته انه يخنقه. ويستحيل على العقل مهما دقة ملاحظته، ان يجد المعلول في العلة المفترضة، لان المعلول مختلف بالكلية عن العلة فلا يمكن استكشافه فيها)[٢٩] اذن: ((فليس

مبدأ السببية قضية تحليلية ولكن القضايا ام تحليلية او تركيبية اذن: فمبدأ السببية قضية تركيبية))[٣٠].

يسوق (هيوم) حجة لاثبات ان مبدأ السببية قضية تركيبية لذا لا يمكن البرهنة عليها.

ان القضايا التركيبية تعتمد على مبدأ السببية. لذا اذا امكن البرهان على مبدأ السببية امكن البرهان على القضايا التركيبية ولكن لا يمكن البرهان على القضايا التركيبية لامكان افتراض نقيضها لذلك لا يمكن البرهان على مبدأ السببية [٣١].

شروط مبدأ السببية عند (هيوم)

لا بد ان يتوفر بعض العلاقات بين الاشياء حتى يكون بالامكان تسميتها بعلاقة السبب والنتيجة فمثلا العلاقة بين (أ و ب) حتى تكون علاقة سبب ونتيجة يجب توفر شروط ثلاثة هي:-

١. التجاور **Contiguity**:ان الاشياء التي تكون اسبابا او نتائج متجاورة أي متصلة فيما بينها، واحيانا تكون العلاقة بين شيئين علاقة سبب ونتيجة متباعدة، الا انها متصلة في الحقيقة – بسلسلة من الاسباب المتجاورة، وحتى لو عجزنا من توقع الاتصال بين السبب والنتيجة نفترض هذه العلاقة (الاتصال)[٣٢]. ويذهب (هيوم) الى ان علاقة التجاور او الاتصال علاقة جوهرية لمبدأ السببية [٣٣].

٢. الاسبقية (الاقدمية **Priority**) الزمنية للسبب على النتيجة، العلاقة الثانية المهمة لمبدأ السببية –كما يذهب هيوم – علاقة الاسبقية الزمنية لسبب على النتيجة، وقد يرفض الكثير من الناس هذه العلاقة ولا يرونها علاقة جوهرية الا ان التجربة تثبت ذلك، ويبرهن (هيوم) على ذلك كالاتي:
   - ((اذا كانت الاسباب متعاصرة، كانت الاشياء كلها موجودة معا.
   - اذا كانت الاشياء كلها موجودة معا انعدم التعاقب.
   - اذا انعدم التعاقب، انعدم الزمان.
   - لكن الزمان موجود.

- اذا التعاقب بين الاشياء موجودة، والاشياء ليت كلها موجودة معا)) [٣٤] بعبارة اخرى: اذا افترضنا ان أ سبب ب نتيجة ومتواجدة في نفس الوقت و ب سبب ج و ج سبب هـ كل هذه الاشياء متواجدة في نفس الوقت فان ذلك يؤدي الى الغاء القضايا وبالتالي الزمان [٣٥].

الارتباط الضروري بين السبب والنتيجة **Necessary Connexion** تعتبر هذه العلاقة اهم العلاقات الضرورية لمبدأ السببية فالشيء قد يسبق شيئا اخر او تكون متجاورة مع ذلك فلا تعتبر العلاقة بينهما سبب نتيجة الا اذ توفرت العلاقة الثالثة أي الضرورة بين السبب والنتيجة مثلا النار تحرق والسهم يقتل فان العلاقة بين النار (السبب) والاحتراق (النتيجة) ضرورية فاذا غاب السبب غابت النتيجة والعكس صحيح[٣٦].

مصدر الضرورة في مبدأ السببية

ان العلاقات الضرورية لمبدأ السببية –كما شرحنا سابقا – هي التجاور والاسبقية الزمنية للسبب على النتيجة والضرورة فالعلاقة الاولى والثانية لا تثير في نظر هيوم اية مشكلة ويمكن التحقق منها عن طريق الانطباعات الحسية، ولكن العلاقة الثالثة (الضرورة) التي تعني وجوب ان تاتي النتيجة بعد السبب حتما [٣٧] فما مصدر هذه الفكرة.

يعتقد الفلاسفة العقليون بان مبدأ السببية مبدأ قبلي او فطري، موجود في العقل البشري وانكاره يؤدي الى تناقض منطقي. فالقضية (النار تحرق) قضية ضرورية فبمجرد حدوث (النار) تحدث النتيجة (الاحتراق) بالضرورة وانكار هذه القضية يؤدي الى تناقض.

ويرفض (هيوم) هذا التصور عن مبدأ السببية ويذهب الى ان فكرة السبب لا يتضمن فكرة النتيجة كأحد عناصرها، ومهما نحلل فكرة السبب فلا نحصل على فكرة النتيجة، فالنار لا تتضمن فكرة الحرارة وتحليل فكرة الحرارة لا تتضمن فكرة النار، فتحليل فكرة النار تتضمن العناصر الداخلة في تكوينها، ولا تتضمن فكرة الاحتراق. والقضية التالية (الخبز سبب التغذية) فتحليل الخبز يتضمن فقط العناصر الداخلة في تكوينه ولا يتضمن التغذية أبداً[٣٨].

ويذهب (هيوم) الى ان فكرة السبب مختلف عن فكرة النتيجة ولا يمكن استنتاج احدهما من الاخر بعكس القضايا في الرياضيات فالقضية (المثلث شكل محاط بثلاثة خطوط

مستقيمة متقاطعة) او (الجزء اصغر من الكل) فبمجرد تحليل الموضوع (المثلث) و (الجزء) نستنتج المحمول (شكل محاط بثلاثة خطوط مستقيمة متقاطعة) و (اصغر من الكل) فالموضوع يتضمن المحمول ومن التناقض انكار العلاقة بينهما، اذن ان القضية (ان لكل شيء سبب) قضية تركيبية وليست تحليلية [٣٩].

والضرورة الموجودة في مبدأ السببية ليست مستمدة – كما يذهب هيوم – من التجربة (عندما ننظر خارجنا نحو الاشياء الخارجية نتامل في عمل الاسباب، لا نكون قادرين البتة على ان نكتشف من حالة واحدة قدرة او اقترانا ضروريا أي خاصية تقرن الاثر الى السبب وتجعل من الواحد النتيجة المحتمة للاخر، وسنجد فقط ان الواحد يلي الاخر بالفعل، في الواقع ان دفع كرة البليارد تصحبه حركة الكرة الثانية ذاك كل ما يظهر للحواس الخارجية. ولا يشعر الذهن باي شعور ولا باي انطباع باطن عن تتالي الاشياء، ليس هناك اذن، في اية حالة يعنيها من حالات السببية ما يمكن ان يوحي بفكرة القدرة او الاقتران الضروري)[٤٠].

ويذهب (هيوم) الى ان المصدر الوحيد للمعرفة هو التجربة، ومهما بحثنا عن فكرة الضرورة في التجربة فلن نجدها، فاننا نسمع ونرى ونشعر بان الاشياء موجودة على هذا النحو ولكن لا تستطيع ان نرى او نسمع او نشعر بانه لا بد ان يوجد على هذا النحو.

فالقضية (البرد يجمد الماء) نجدها في التجربة ولكن لا تخبرنا التجربة يجب في جميع الحالات ان يتجمد الماء بفعل البرودة ويجب ان ننتظر التجربة حتى نتاكد منها، اما في القضايا الهندسية فالقضية (المثلث زواياه ثلاث لا بد ان تساوي قائمتين) قضية ضرورية نستطيع اثباتها عن طريق تحليل فكرة المثلث الى عناصرها. بعبارة اخرى لا توجد في الطبيعة فكرة الضرورة الموجودة في مبدأ السببية وانما فقط تتابع احداث[٤١].

وكما ان الضرورة غير موجودة في الطبيعة فهي غير موجودة في الظواهر النفسية فلا نجد انطباع او فكرة عن الضرورة. ولا يمكن تسمية العلاقة بين الارادة (القوة التي نشعر بها في داخلنا) وبين الحركة (حركة اليد مثلا) علاقة سببية وذلك لانها علاقة غامضة ولا تعرف بالضبط الالية التي يتم انتقال الحركة بين الارادة الى اعضاء الانسان، اذن لا تستطيع ملاحظة انطباع او فكرة عن الضرورة في الظواهر النفسية والعقلية[٤٢].

العادة مصدر مبدأ السببية

لقد اثبت (هيوم) ان مبدأ السببية ليس قضية تحليلية كقضايا الرياضيات التي يكون (المحمول) جزءا من (الموضوع) وليست الضرورة السببية مستمدة من التجربة – فكما شرحنا سابقا – فالتجربة لا تعطينا فكرة الضرورة فما مصدر معرفتنا بمبدأ السببية ؟.

يجيب هيوم ان ادراك تتابع حادثتين وتلازمهما معا باستمرار في الطبيعة يؤدي الى تكوين عادة فكرية في العقل البشري، بحيث يجعلنا نتوقع حدوث احدهما من خلال حدوث الاخر، فعند رؤية الحادثة (أ) ملازمة لحادثة (ب) فبمجرد رؤية الحادثة (أ) يبادر العقل الى توقع الحادية (ب) بفعل العادة والتكرار [٤٣]. فالترابط الموجود بين حوادث الطبيعة وبين نتائجها ليس حتمية، صحيح ان هناك ضرورة بين (ارتفاع نسبة الرطوبة وبين نزول الامطار) ولكن الضرورة ليست موجودة في الاشياء ولا توجد في الاشياء قوة خفية تحدث شيئا اخر، وانما الضرورة مصدرها العادة التي تنشأ من جراء تكرار المستمر بين السبب (ارتفاع الرطوبة) والنتيجة (نزول المطر)[٤٤]. اذن الضرورة ((شيء موجود في العقل لا في الاجسام وليس بمستطاعنا ان نكون عنها فكرة مهما كانت غامضة باعتبارها خاصة في الاجسام))[٤٥].

نقد نظرية (هيوم) في السببية

تعرض نظرية (هيوم) الى نقد شديد من قبل اغلب الفلاسفة الذين جاءوا بعده، واصبح دحض نظريته –كما ذهب رسل – تسلية مستحبة من قبل الميتافيزيقيين ويرى رسل انه ليس في تنفيذ احدهم ما يقنعه[٤٦].

وذهب (عما نؤئيل كانط) الى ان النتائج التي توصل اليها (هيوم) نتيجة للمقدمات الباطلة التي افترضها، فقد افترض ان الحواس المصدر الوحيد للمعرفة وبما ان الحواس تزودنا باحاسيس منفصلة ومتعاقبة ليست فيها ضرورة ويقين، ويذهب (كانط) ان التسليم بكل ذلك يؤدي الى النتائج التي اقرها (هيوم) منها رفضه لمبدأ السببية التي هي ضرورية للعلم، ولكن المعرفة ليست مقتصرة –كما يذهب – على التجربة بل ان العقل البشري هو الذي يضفيه على الاشياء لذا فالضرورة موجودة في العقل البشري لا في الطبيعة لذلك فان فكرة السببية ضرورية ويقينية [٤٧].

ورفض الفيلسوف (مين دي بيران) تصور (هيوم) للسببية ويؤكد انتقال القوة من السببية (العلة) الى النتيجة (المعلول) ويرى في المجهود العقلي تحقيق فكرة السببية[٤٨].

ويقر انصار (علم النفس الشكل) وجود مبدأ السببية في الظواهر الشعورية وما نلاحظه في الشعور ليس مجرد تكرار بل فكرة السببية: ((من وجهة النظر الظاهر ياتيه البحث، فان التجربة المباشرة تعطينا اكثر من مجرد توال بسيط لمضمونات الشعور، بل يتولد عندنا انطباع بان الحالة الثانية تتولد وتصدر وتنتج عن الاولى واتصالها الضروري الذي ندرك فيه مضمونها ولا فصل بينهما الا بطريقة مصطنعة))[٤٩].

ان تحليل (هيوم) لمفهوم السببية كان له تاثير على الفلسفة لا على العلماء فالعلماء يستخدمون فكرة السببية سواء كانت معناها الارتباط الضروري ام كانت معناها مجرد تعاقب فذلك مهمة الفيلسوف لا العلماء والتغيرات التي حدثت لمفهوم السببية في مجال العلم الحديث لم تكن نتيجة لنقد (هيوم) بل لاسباب علمية بحتة. لقد اتضح للعلماء بان الظواهر الحديثة معقدة جدا ولا يمكن ردها الى سبب واحد بل الى عوامل كثيرة تتدخل في تشكيل الظاهرة فمثلا ظاهرة الاجرام فلا نستطيع ان نحدد سبب محدد لها، والذين ارتكبوا جريمة ما قد تكون لاسباب اجتماعية او اقتصادية او عائلية او لاسباب عضوية وراثية كوجود اختلال في الغدد لذلك يلجأ العلماء الى التحليل الاحصائي لتحديد دور كل عامل في صنع الظاهرة[٥٠].

فهذا التوجه يوافق ما ذهب اليه (هيوم) الا ان العلم توصل اليه لاسباب علمية بحتة.

المراجع والمصادر

١. السيد نفادي، السببية في العلم وعلاقة السببي بالمنطق الشرطي (بيروت: دار التنوير، ٢٠٠٦ م).

٢. برتداند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الثالث، ترجمة:د. محمد فتحي الشنيطي (مصر: مكتبة مصر، د.ت).

٣. ديفيد هيوم، مبحث في الفاهمة البشرية، ترجمة: د. موسى وهبة (بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٨ م).

٤. زكريا ابراهيم، كانت او الفلسفة النقدية (مصر: مكتبة مصر، د.ت).

٥. زكي نجيب محمود، قصة الفاسقة اليونانية (مصر: لجنة التاليف والترجمة والنشر، د.ت).

٦. د. صلاح قنصوة، فلسفة العلم (مصر: دار الثقافة للطباعة والنشر).

٧. د. عبدالرحمن بروي، مدخل جديد الى الفلسفة (الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٧٩).

٨. د. فؤاد زكريا، التفكير العلمي، ط٣ (الكويت: سلسلة عالم المعرفة، ١٩٨١).

٩. د. كريم متى، الفلسفة الحديثة، (بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٠).

١٠. د. محمد فتحي الشنيطي، المعرفة (القاهرة: دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨١).

١١. د. محمد فتحي الشنيطي، فلسفة هيوم بين الشك والاعتقاد (القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٥٧).

١٢. د. محمد زيدان، الاستقراء والمنهج العلمي (مصر: دار الجامعات المصرية، ١٩٧٧).

١٣. ول ديورانت، قصة الفلسفة، ترجمة د. فتح الله محمد المشعشع (بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٧٢).

المعاجم والموسوعات

١. الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة، فؤاد كامل وجلال العشري وعبد الرشيد الصادق (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٣).

٢. الدكتور جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء الاول (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٧١).

هوامش البحث:

١- السيد نفادي، السببية في العلم وعلاقة السببي بالمنطق الشرطي (بيروت: دار التنوير، ٢٠٠٦م) ص٢٣

٢- المصدر السابق، ص١٣-١٤

٣- الدكتور جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء الاول (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٦٧١) ص٦٤٧.

٤- الدكتور عبد الرحمن بدوي، مدخل جديد الى الفلسفة (الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٧٩) ص١٠٨.

٥- المصدر السابق، ص١٠٨

- ارسطو (٣٤٢ – ٣٧٠ م. ق. م) فيلسوف يوناني كبير، كان تأثيره على الفلسفة عظيماً (ويلقب بالمعلم الاول) لانه وضع اسس المنطق.

٦- د. زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة اليونانية (مصر لجنة التأليف و الترجمة و النشر، د. ت) ص١٦٠، الدكتور فؤاد زكريا، التفكير العلمي، ص٢ (الكويت: سلسلة عالم المعرفة، ١٩٨٨) ص٤٠

- الفلسفة المدرسية:- هي الفلسفة التي ظهرت في اوربا في العصر الوسيط وسميت بالمدرسة لانها كانت تعلم في المدارس.

٧- وليم جيمس، بعض مشكلات الفلسفة، ترجمة الدكتور محمد فتحي الشنيطي، مراجعة الدكتور زكي نجيب محمود (مصر: المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الترجمة و الطباعة و النشر، د.ت) ص١٦٠.

- توماس هوبز (١٥٨٨ – ١٦٧٩):- فيلسوف انكليزي تجريبي من اشهر اعماله (التنين) وحاول تفسير كل شيء بالمادة و الحركة.

٨- السيد نفادي، السببية في العلم، مرجع سابق، ص٢٤

- جزن لوك فيلسوف انكليزي، اعتبر التجربة المصدر الوحيد للمعرفة، ورفض الافكار الفطرية وقال ان عقل الانسان صفحة بيضاء عند ولادته وما فيه من معلومات مصدرها التجربة.

٩- المرجع السابق، ص٢٤.

- عما نوئيل كانط:- فيلسوف الماني، مؤسس الفلسفة النقدية، اثر في تفكيره تياران رئيسيان من تيارات الفلسفة الاوربية: النزعة العقلية و النزعة التجريبية ولكنه كون لنفسه فلسفة خاصة تؤكد على نقد العقل اولاً لمعرفة حدوده.

١٠ – يوسف كرم تاريخ الفلسفة الحديثة، ط٥ (مصر: دار المعارف، د. ت)، ص٢٤٨- ٢٤٩

- الامام الغزالي:- (١٠٥٩ – ١١١م) وهو ابو حامد محمد الغزالي ولد في طوس بخراسان ومن اهم كتبه (مقاصد الفلاسفة) و (تهافت الفلاسفة) و (معيار العلم) و (احياء علوم الدين).

١١ – دكتور صلاح قنصوه، فلسفة العلم (مصر: دار الثقافة للطباعة و النشر، ص١٦٠

١٢ – هنترميد، الفلسفة انواعها و مشكلاتها، ترجمة دكتور فؤاد زكريا (مصر: مكتبة مصر، ١٩٦٩) ص٤٥٣.

١٣ – دكتور كريم متى، الفلسفة الحديثة (بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٠) ص٢٠٠.

١٤ – دكتور محمد فتحي الشنيطي، المعرفة (القاهرة: دار الثقافة للطباعة و النشر، ١٩٨١) ص١١٥.

١٥ – دكتور كريم متى، الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص٢٠٠.
١٦ – ديفيد هيوم، مبحث في الفاهمة البشرية، ترجمة: د. موسى وهبة (بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٨) ص٣٨.
١٧ – دكتور محمد فتحي الشنيطي، المعرفة، مرجع سابق، ص١١٧
١٨ – دكتور كريم متى، الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص٢٠١–٢٠٣
١٩ – دكتور محمد فتحي الشنيطي، المعرفة، مرجع سابق، ص١١٧.
٢٠ – دكتور كريم متى، الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص٢٠٣.
٢١ – الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة: فؤاد كامل وجلال العشري و و عبد الرشيد الصادق (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٣) ص٤٠٤.
٢٢ – د. محمد فتحي الشنيطي، فلسفة هيوم بين الشك والاعتقاد (القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٥٧ م)، ص ٧٦.
٢٣ – د. كريم متى، الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص ٢١٤.
٢٤ – المرجع السابق، ص ٢١٤.
٢٥ – د. محمد فتحي الشنيطي، فلسفة هيوم، مرجع السابق، ص ٧٦–٧٧.
٢٦ – د. كريم متى، الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص ٢١٤.
٢٧ – المرجع السابق، ص ٢١٤.
٢٨ – المرجع السابق، ص ٢١٥.
٢٩ – يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، المرجع السابق، ص ١٧٥.
٣٠ – د. كريم متى، المرجع السابق، ص ٢١٥.
٣١ – المرجع السابق، ص ٢١٥–٢١٦.
٣٢ – د. محمد فتحي الشنيطي، فلسفة هيوم، المرجع السابق، ص ٩١–٩٢.
٣٣ – د. عبدالرحمن بدوي، مدخل جديد الى الفلسفة، المرجع السابق، ص ١٠٩.
٣٤ – الحجة ماخوذة من كتاب، كريم متى، الفلسفة الحديثة، المرجع السابق، ص ٢١٢–٢١٣.
٣٥ – د. محمد فتحي الشنيطي، ديفيد هيوم، المرجع السابق، ص ٩١–٩٢.

٣٦ – د. عبدالرحمن بدوي، مدحل جديد الى الفلسفة، المرجع السابق، ص ١٠٩.
٣٧ – الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة فؤاد كامل واخرون، المرجع السابق، ص ٤٠٤.
٣٨ – د. محمود زيدان، الاستقراء والمنهج العلمي (مصر، دار الجامعات المصرية، ١٩٧٧)، ص١٠٤–١٠٧.
٣٩ – المرجع السابق، ص ١٠٥–١٠٦.
٤٠ – ديفيد هيوم، مبحث في الفاهمة البشرية، المرجع السابق، ص ٩٥.
٤١ – ولتر ستيس، فلسفة هيجل، المنطق وفلسفة الطبيعة، ترجمة د. امام عبدالفتاح اما (بيروت: دار التنوير، ٢٠٠٧ م) ص ٤٥–٤٦.
٤٢ – د. محمود زيدان، الاستقراء والمنهج العلمي، المرجع السابق، ص ١٠٦–١٠٧.
٤٣ – المرجع السابق، ص ١٠٧.
٤٤ – د. فؤاد زكريا، التفكير العلمي، المرجع السابق، ص ٤٣.
٤٥ – د. كريم متى، الفلسفة الحديثة، المرجع السابق، ص ٢١٩.
٤٦ – برتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الثالث، ترجمة: د. محمد فتحي الشنيطي (مصر: دار المصرية العالمة، ١٩٧٧)، ص ٢٥١.
٤٧ – ول ديورانت، قصة الفلسفة، ترجمة: د. فتح الله محمد المشعشع (بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٧٢)، ص ٣٣٤–٣٣٥، د. زكريا ابراهيم، كانت او الفلسفة النقدية (مصر: مكتبة مصر، د.ت)، ص ٨٠.
٤٨ – د. عبدالرحمن بدوي، مدخل جديد الى الفلسفة، المرجع السابق، ص ١١٠–١١١.
٤٩ – المرجع السابق، ص ١١١.
٥٠ – د. فؤاد زكريا، التفكير العلمي، المرجع السابق، ص ٤٤–٤٥.

ABSTRACT

The principle of causal is important in the life and science and philosophy so, the philosophers and scientists interested on its analysis and Hume is one of important philosophers in that field whom studied this concept. Hume see that, any relationships must have something in order to be named by the relationship of cause and result, e.g. the relationship between A,B in order to be relationship of cause and result, it must contain three conditions:

The contiguity relationship and the chronological precedence for cause and result and the necessary connection between the cause and the result. According to the Hume's opinion, the last relationship is one of the important relationships which means that it must have inherency of cause with the result (fire burn) so, the relationship between cause and result is necessary and we cannot imagine one of them without other. But Hume refused this imagining and he confirmed that this experience did not give us the necessary existing in causal relationship, what is that resource of necessary? Hume found after deep analysis, the idea of necessary connection between cause and result, we did not found it by experiment but by way of habitude and iteration.